

محاضرات مقياس: سوسولوجيا الرابط الاجتماعي

المحاضرة رقم 12: المسارات النظرية لدراسة الرابط الاجتماعي (تابع)

ثانيا: مسار الدراسات والمفكرون المعاصرون

أ/ مسار الدراسات:

أعمال سارج بوجام في كتابه: الرابط الاجتماعي سنة 2008.

دراسة بيدار في مؤلفه الصداقة، رابط اجتماعي عام 1997.

عمل إلياس نوربات في: مجتمع الأفراد عام 1991.

دراسة جون جانيان في مؤلفه: ما نريد قوله، دراسة في ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية.

كما صدر عن المجمع الكندي للجامعات مجلة دولية نصف سنوية فرنكوفونية اللسان باسم:

. Lien social et Politique

أخذ التعبير عن أزمة الرابط الاجتماعي خلال الثمانينات وما بعدها عدة تسميات، أبرزها: فقدان النسب **Ladésaffiliation** عند كاستيل (1995)، واللاندماج **La désinsertion** بالنسبة لدوجولوجاكس (1997)، وفك الرابط أو اللاتواصل **La défiance** لدى بول دويال (1985)... وغيرهم.

أما عن الدراسات الجادة حول الرابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري فهي قليلة أهمها:

– دراسة الهواري عدي في كتابه المشهور: تحولات المجتمع الجزائري، العائلة والرابط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة (1999).

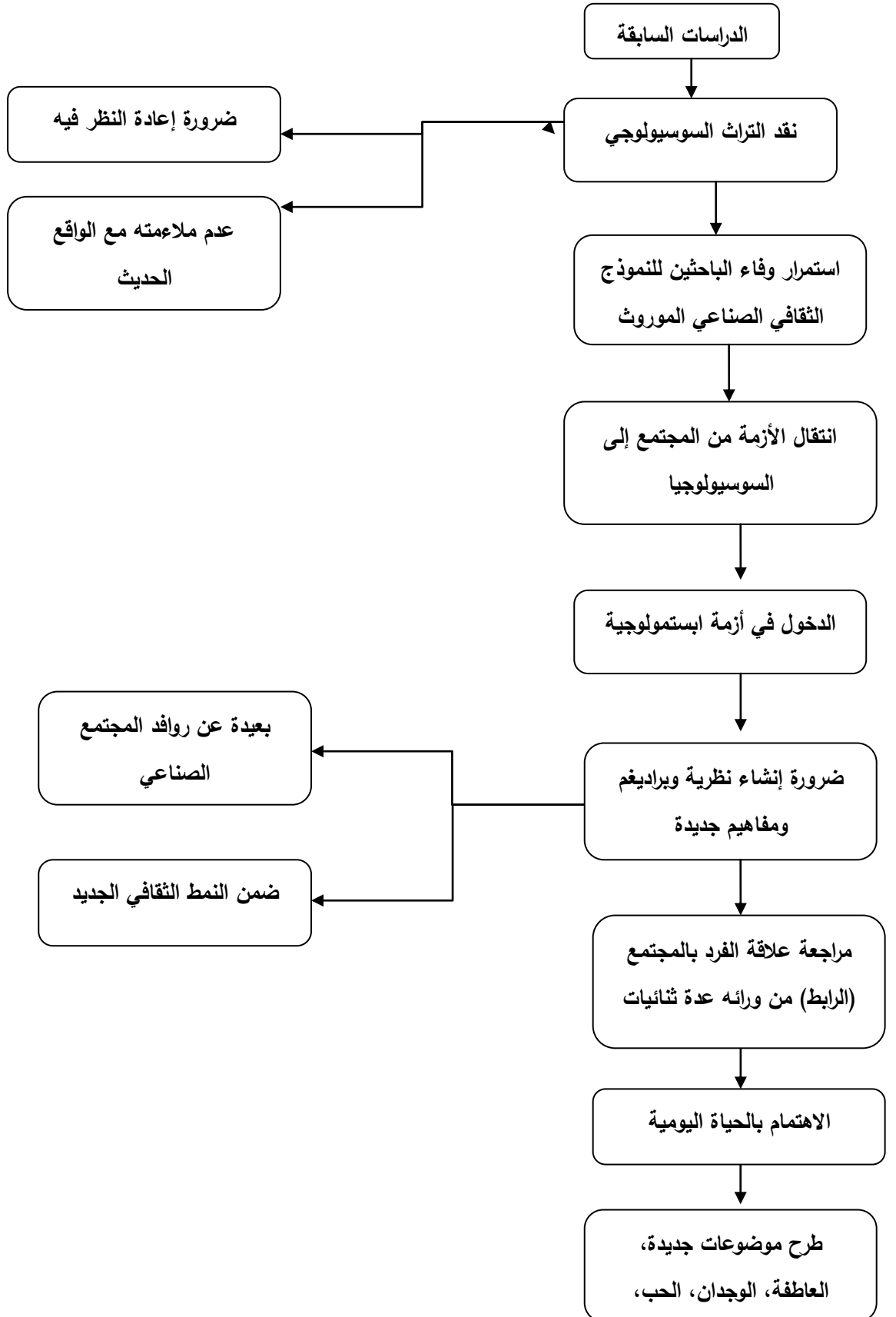
– مقال آيت عمارة بعنوان: بناء الرابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري المعاصر (2002).

كتاب حمدوش رشيد: مسألة الرابط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة "امتدادية أم قطيعة" (2009).

هذا بالإضافة لأعمال أخرى تتصل بالموضوع بشكل غير مباشر، وتناولت مؤسسات بعينها دون الإشارة إلى كلمة الرابط ضمن عنوانها، كتكاتب مصطفى بوتفنوشت عن العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة 1984.

تنطلق أغلب الدراسات السابقة من قراءة نقدية للتراث السوسولوجي، والاتفاق على ضرورة إعادة النظر فيه من جديد.

شكل يوضح تطور مسار الدراسات المتعلقة بالرابط الاجتماعي



المحاضرة رقم 12: المسارات النظرية لدراسة الرابط الاجتماعي (تابع)

ب/ المفكرون المعاصرون:

1. جون جانيان (1923-2006): أنثروبولوجي ولساني فرنسي تأثر بأعمال كل من فرديناند دي سوسير ورومان جاكسون، عمل مع زميله عالم الأعصاب أوليفي سابورو (1924-2006) على إنشاء نظرية "الوساطة" والتي أصبح يطلق عليها فيما "الأنثروبولوجية العيادية". يشكل إسهام جانيان استمرارية وقطبة في الآن ذاته مع أعمال الكلاسيكيين من قبله، وهذا ما سيظهر من خلال تتبعه لسيروية الرابط الاجتماعي، ثم نقد طرق التعامل معه واقترح تصور جديد، لذا سنقسم دراسته للمراحل التالية:

أ- إجابات الكلاسيك: لقد ظل موضوع الرابط الاجتماعي دوما في قلب أعمال الرواد الأوائل سواء مع أوجست كونت أو إيميل دوركايم أو غيرهما، وكان التخوف مثلا عند هذا الأخير في تزايد حالة الأنوميا في المجتمع الصناعي والوصول إلى حالة التفسخ الكلي، وما هذا التخوف إلا استمرارية للقلق الذي كان سائدا خلال القرن 17 حول علاقة الفرد بالمجموعة أو المجتمع. ويمكن إختزال الإجابات السائدة قبل فترة الكلاسيكيين في اتجاهين:

✓ إما بالإجابة السياسية والتي يمثلها أصحاب العقد الاجتماعي بخاصة جون جاك روسو الذي يحتمل وجود عقد يتبق ينم من خلاله بناء العلاقة بين الفرج والمجتمع والتوافق بينهما بتنازل الواحد عن حقوقه مقابل الصالح العام.

✓ أو بالإجابة الاقتصادية متمثلة في "مدخل إلى طبيعة وأسباب ثراء الدول" لصاحبه آدم سميث الذي يرى أن التبادلات الحرة للسوق كفيلة بصناعة الرابط الاجتماعي تدريجيا بين الأفراد وتطويره وفق المصلحة والحاجة.

لقد كان الهدف من أعمال كونت ودوركايم وبقية الرواد التغلب على نقائص هذين الحلين وتجاوزهما، فاقترحوا التركيز على عملية التضامن الاجتماعي، باعتبارها المخرج الذكي والمنطقي سوسولوجيا مذكرين بقاعدة: ليس كل ما في العقد تعاقدي دوما.

ب- الواقع المؤسساتي المعاصر: بقي الهاجس المصاحب لموضوع الرابط الاجتماعي مستمرا إلى يومنا هذا، فأمام تزايد البطالة والبطالة المقنعة في المجتمعات الغربية، تضاعفت الأصوات المنادية بإنشاء وترميم والمحافظة على أو تطوير الرابط الاجتماعي من جهات مختلفة. تزايد هذه الأصوات يعود لانتشار مظهرين أساسيين هما:

✓ تزايد حالات الانعزال أو الإهمال الاجتماعي نتيجة نقص الرابط الاجتماعي.

✓ توسع حالات التفكك أو انكماش العلاقات الاجتماعية نتيجة تدهور الرابط الاجتماعي.

يتعلق الأمر وفق الممارسين الاجتماعيين في الحالة الأولى بوجود ملء فراغ متزايد عن طريق استفزاز أو استفار العلاقات الاجتماعية ، وفي الحالة الثانية ضرورة إصلاح النسيج الاجتماعي عن طريق تحريك العلاقات الاجتماعية لسد ثغرات هذا النسيج.

جدول يبين حالات الرابط الاجتماعي

الحالة	النتيجة	الحل	الوسيلة
نقص الرابط	الانعزال	ملء الفراغ في الرابط الاجتماعي	استنفار العلاقات الاجتماعية
تدهور الرابط	التفكك أو انكماش العلاقات	إصلاح النسيج الاجتماعي	تحريك العلاقات الاجتماعية

وهذه هي النظرة السائدة اليوم في مجال العمل الاجتماعي وحتى لدى الدراسات الاجتماعية الأكاديمية، ومن الواضح عمليا على المستوى المؤسساتي بأن محاولة ترميم هذا الرابط وإنشائه من جديد يتم بتشجيع اللقاءات التبادلية بين الأفراد.

المحاضرة رقم 13: المسارات النظرية لدراسة الرابط الاجتماعي (تابع)

ج- نقد التصور المعاصر: تقترح علينا السوسولوجيا الشكلية بخاصة عند جورج سيميل التفرقة بين أشكال التنشئة ومحتوى التنشئة، فلا يمكن طرح موضوع التفاعلات الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية من وجهة نظر علمية إلا إذا تم فصل أشكالهما عن محتوئهما الاجتماعي، بذلك تتشكل خصوصية العلم المنفصلة عن المجتمع في ذاته، لذا علينا العودة للتعريف الذي قدمه سيميل للتنشئة الاجتماعية.

فمفهوم التنشئة الاجتماعية وفق السوسولوجية الحالية تعني: العملية التي يكتسب الفرد من خلالها معايير وقيم المجتمع الذي ينمو فيه، في حين يعتقد سميل أن التنشئة عبارة عن عملية الفعل التبادلي الذي من خلاله يرتبط الفرد أو ينفصل عن الأفراد الآخرين فيشكلون أو يفككون المجموعات التي ينتمون إليها.

هذا يدعو إلى إعادة النظر في مفهوم الرابط الاجتماعي في حد ذاته، لارتباطه المباشر بالتنشئة الاجتماعية، ومن هذا المنطلق يصبح العملية التي تسمح بالتمييز والفصل، وفي الآن ذاته تجاوز هذا التمييز والفصل للوصول إلى تشكيل الهوية والوحدة أو التشابه. فالتنشئة عقد وفك من أجل عقد وفك جديدين، وعملية تدفق دائم وحركة مستمرة تربط وتفصل الأفراد حتى في المواضيع التي لا تتواجد فيها تنظيمات حقيقية. وهي قدرة خاصة بالإنسان فقط بربط وفك الأشياء في مقابل الطبيعة، بذلك يكون الربط سببا للفك والفك سببا للربط، فالواحد افتراض للآخر دوماً، والإنسان يسعى على مستوى مختلف الأصعدة في كل مرة إلى ربط المفكك وفك المربوط (المتصل)، ويعبر سميل عن هذه التبادلية الديالكتية بين الربط والفصل مجازاً بالبَاب (للفصل) والقنطرة للربط.

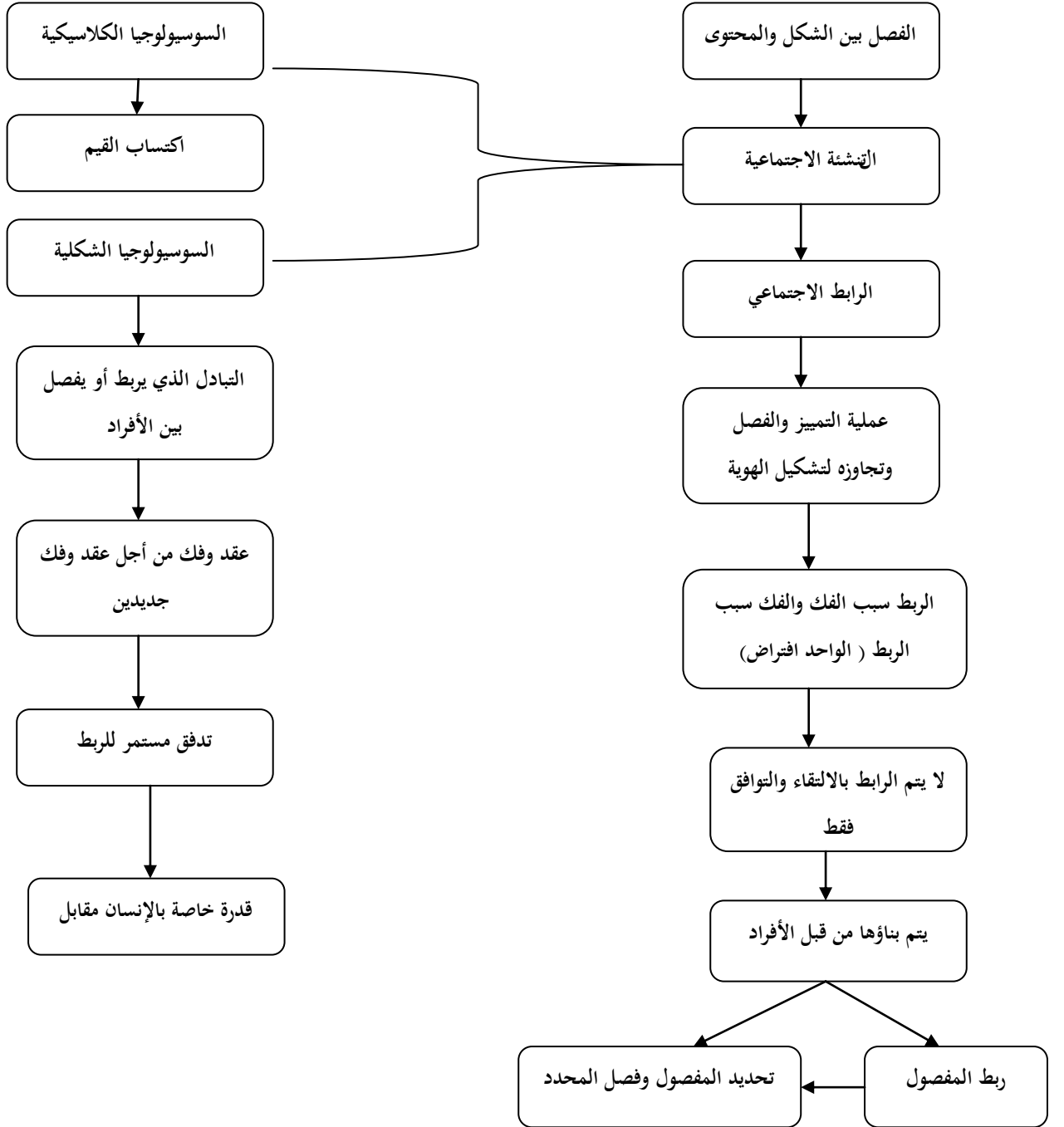
فالرابط لا يتم أبداً عن طريق الإلتقاء بين الأفراد وتوافقهم فقط، إنما الرابط حسب الأنثروبولوجي جون جانيان يتم بناؤه من قبل الأشخاص الذين لا يكتفون بربط المفصول وفصل المربوط، ولكن أيضاً - وهنا الإضافة التي تميزه عن سيميل- لا يتوقفون عن تحديد المفصول وفصل المحدد.

من خلال التحليل السابق يتبين أن الروابط الاجتماعية بين الأفراد تتم وفقاً لمحوريت:

✓ المحور الكيفي أو الفارقي المتعلق بالهويات واختلافات الأدوار والوضعيات.

✓ المحور الكمي أو التجزيئي المتعلق بالوحدات وتعدد المراكز.

شكل يبين الحل المقترح للرابط من قبل جانبيان



إن المرور من الطفولة إلى الرشد هو دخول نحو الظهور الاجتماعي والتسجيل ضمن الفضاء

الاجتماعي بل هو الركيزة الأساسية له، من هنا فالمراهقة تعكس عمليات بناء الرابط الاجتماعي.

فالملاحظ أن المراهق في محاولته الظهور الاجتماعي ينشئ لنفسه مجموعة من العلاقات الخاصة به والتي

تبرز من خلال عملية التمييز، فقد بينت الكثير من الدراسات أن المراهق عن طريق سلوكياته ولغته ولباسه لا يحاول الاختلاف عن والديه فقط، إنما أيضا عن مجموعة المراهقين الآخرين، فالمراهقة ترتبط بأشكال محددة من الأنماط الموسيقسة واللباسية، ويتعلق الأمر بتحكم المراهق في مختلف الشعارات الاجتماعية والاحتجاج على الأدوار التي يعيها له والديه، فهو بالتالي يرفض وضعيات معينة أو أدوار محددة، وفي الوقت ذاته يتبنى أخرى، إذ لا يمكن فصل الهوية الاجتماعية عن الاختلاف، لأنها عملية تكيف مع هوية معينة من جهة وانفصال عن أخرى من جهة أخرى.

د- اقتراح تصور جديد: ركزت السوسولوجيا كثيرا على مفهوم الدور باعتباره نظام استجابة للتوقعات، ما يعنى الاهتمام به من حيث المحتوى، لكنها أهملته من حيث كونه نظام ترسيم متبادل للحدود، وعلى هذه النقطة الأخيرة وضع جون جانيان يده، والذي عرف المؤسسة على أنها وحدة من المسؤوليات تتحدد من خلال التجزئة التي تحتلها في علاقتها الرسمية بالوحدات الأخرى، فالمؤسسة تعرف بالدور لا عن طريق التوقعات المنتظرة منها، والتركيز على المحتوى فقط إنما بالضغط أكثر على التقسيمات التي تنتج عنها، والتي ترسم حدود وحدات القدرة بالشكل نفسه الذي تقسم به المواقف وحدات الإنتماء. الدور إطار تندرج ضمنه مختلف الوظائف، وهذا الإطار يشكل قطعة تتعاقد مع القطع الأخرى لتختلف عنها وترسم حدود كل الوحدات الأخرى، فالتعاقد يعنى إعادة هيكلة جميع الأدوار الأخرى التي تحوم حول العقد المبرم مع الآخرين، وبالتالي التفاوض على الأدوار أو إعادة بناء علاقات القوة كما يقول ميشال كروزي.

وهذا ما يحدث خلال النشاط الاجتماعي فتتم فيه عملية توزيع الأدوار بين الأفراد، ويقوم البعض بتفويض نصيبه من المسؤولية لمجموعة ما أو أفراد معينين، لكن المشكلة أن هذا التفويض يتخذ بعد ذلك شكل مصادرة حقيقية للأدوار لا تسمح بإعادته ولا إعادة أي جزء منه للمشاركين الآخرين فتتجمد اللعبة باستحالة إعادة التفاوض من جديد على الأدوار المخصصة لكل واحد من أفراد المجموعة المشاركة في النشاط، فيعيش الكثيرون صعوبة تحديد أدوارهم وأدوار غيرهم.